مجلة بوابة الباحثين للدراسات والأبحاث
Researchers Gate Journal for Studies and Research
ISSN (Print): 3080-1354 ISSN (online): 3079-787X
Volume: 1, Issue: 1 2025

أهمية الاعجاز التأثيري للقرآن الكريم في الدعوة إلى الله

Importance of the Affective Inimitability of the Holy Quran in the Call to Allah

د. سعد عوّاد بردي الحلبوسي: الجامعة العراقية، العراق.

Dr. Saad Awwad Bardi Al-Halbousi: Iraqi University, Iraq.

dr.alhalbouci@gmail.com

الملخص

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على مفهوم الإعجاز التأثيري في الدعوة إلى الله. وقد استخدمت الدراسة المنهج الاستنباطي والاستقرائي. وتناولت الدراسة التعرف على مفهوم الإعجاز ومفهوم التأثير في القرآن الكريم. كما بينت الدراسة دور الإعجاز التأثيري في كيفية التأثير في نشر الدعوة إلى الله رب العالمين. وقد خلصت الدراسة إلى أهم النتائج، وهي أن أغلب العلماء وجدوا أن للقرآن الكريم قدرة تأثيرية في نفوس المستمعين لتلاوته، مهما كانت معرفتهم باللغة العربية، وحتى على غير الناطقين بها. وكذلك له تأثير في غير العرب وفي نفوس البشرية عند سماعه. وحيث إن الاستماع لتلاوة القرآن الكريم عامل مؤثر وأساسي في دخول الناس قديماً وحديثاً في هذا الدين. وقد خلصت الدراسة إلى أهم التوصيات، وهي أن يعمل الباحثون جاهدين على إظهار جميع وجوه الإعجاز الأخرى المتعلقة بالدعوة إلى الله، والتي أشار إليها بعض علمائنا الأفاضل من الأقدمين، بأسلوب واضح وسهل مدعم بالأدلة النقلية والعقلية.

الكلمات المفتاحية: الإعجاز التأثيري، الدعوة إلى الله، التأثير النفسي، الإعجاز القرآني، الخطاب القرآني.

Abstract

This study aimed to identify the concept of persuasive inimitability (al-i'jaz al-ta'thiri) in the call to Allah (da'wah ila Allah). The study employed both deductive and inductive approaches. It explored the concept of inimitability (al-i'jaz) and the concept of influence (al-ta'thir) within the Holy Quran. Furthermore, the study elucidated the role of persuasive inimitability in how to effectively spread the call to Allah, the Lord of the Worlds. The most significant findings of the study indicated that the majority of scholars have found that the Holy Quran possesses a persuasive power on the hearts of those who listen to its recitation, regardless of their knowledge of the Arabic language, and even on non-Arabic speakers. It also has an impact on non-Arabs and on the hearts of humanity upon hearing it. Given that listening to the recitation of the Holy Quran is an influential and fundamental factor in people's entry into this religion, both in the past and present, the study concluded with key recommendations: researchers should diligently work on highlighting all other aspects of inimitability related to the call to Allah, as pointed out by some of our esteemed early scholars, in a clear and accessible manner supported by textual (naqli) and rational ('aqli) evidence.

Keywords: The Impactful Inimitability, Calling to Allah, Psychological Influence, Quranic Inimitability, Quranic Discourse.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، أنزل رسالته بالعلم المستبين، وجعل كتابه رحمة للعالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أنزل على عبده القرآن هدى للناس، فأزال معالم الوثنية والضلال، وأعلى منار التوحيد والإيمان، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

أما بعدُ: إن القرآن الكريم بحر لأي مكان وزمان، وجعله دليلاً لصدق رسالته، وأودع فيه من الحكم والأسرار ما يقضي المرء في تدبرها الليل والنهار، وقد سعد المسلمون الأوائل بتمسكهم بتعاليمه، والسير على نهجه وطريقه، لذا سادوا العالم، وعاشوا حياة هنيئة في الدنيا، مع ما ينتظرهم من الثواب الجزيل في الآخرة.

لقد كثرت الدراسات والأبحاث حول الموضوعات القرآنية، وتخصصت مجموعة منها في إعجاز القرآن الكريم، خدمة له، ومحاولة لكشف مكنوناته، واستخراج درره. ويعتبر الإعجاز التأثيري أحد هذه الأوجه التي تكشف عظمة هذا الكتاب. ولذلك جاء اختياري لموضوع الإعجاز التأثيري ليكون مجال كتابتي في هذا البحث، وسميته: (الإعجاز التأثيري وأهميته في الدعوة إلى الله)، والله أسأل أن ينفع به، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها: إن معجزة القرآن أكثر بروزاً في العصر الحالي مما كانت عليه في الأزمنة السابقة التي سادها الجهل والخمول. هذا وقد ثبت في نماذج عديدة وجود عدة وجوه للإعجاز القرآني، ولكن هناك إعجاز لم يقف عنده كثير من الباحثين ألا وهو تأثيره في النفس الإنسانية وسلطانه العجيب على القلوب، فإن السامع للقرآن الكريم تجده إذا استمع إليه ينجذب نحوه بخشوع

وخشية قد تصل إلى القشعريرة والبكاء. ولهذا أرى أن أقف على سر هذا التأثير القرآني والذي قد أشار إليه الإمام الخطابي في رسالته. يتبين للباحث في موضوع الإعجاز القرآني أنه يتوجه نحو موضوعين هما الإعجاز البياني وهو ما يتحدث عن أسلوب القرآن الكريم وبلاغته وفصاحته مع نظمه، والآخر الإعجاز الموضوعي وهو ما يتحدث عن موضوعات القرآن المطروحة مثل التشريعات والحقائق العلمية الكريمة، وبما أن تأثيره في الغير يعتبر من تلك الموضوعات، فلذلك كان اختياري لهذا الموضوع دون غيره في هذا البحث، وبناء عليه فقد تمتع القرآن بتأثير عجيب، إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، ففيه خبر ما قبلنا ونبأ ما بعدنا، لقد باتت المعجزات الحسية لا تناسب التطور العلمي كما يناسبه القرآن، فالقرآن يخاطب في الإنسان القلب والروح والنفس؛ لذلك كان تأثيره في الناس أكثر، وعليه فقد جاءت مشكلة الدراسة واضحة في أهمية التأثير الوارد بالإعجاز القرآني وكيف أثر بالدعوة في سبيل الله تعالى، وعليه فقد تمثلت مشكلة الدراسة من خلال بعض التساؤلات،

وأما السؤال الرئيس فكان حسب الآتي:

ما هي أهمية الإعجاز التأثيري في الدعوة إلى الله تعالى؟

ومن خلال السؤال الرئيس انبثقت الأسئلة الآتية:

- **السؤال الأول:** ما المقصود بمفهوم الإعجاز لغة واصطلاحاً؟
- **السؤال الثاني:** ما المقصود بالتأثير لغة واصطلاحاً؟
- **السؤال الثالث:** ما هي الأهمية التي جاء بها الإعجاز التأثيري في الدعوة لدين الله؟
- **السؤال الرابع:** ما هي العبر المستخلصة والمستقاة من الأثر الناجم من الإعجاز التأثيري في الدعوة الإسلامية؟

أهمية الدراسة: تمثلت أهمية الدراسة في أهم النقاط الآتية:

1. إن الإعجاز التشريعي يتضمن التشريعات المختلفة في العبادات، والمعاملات، والأخلاق، وأنه نظام شامل لجميع أمور الحياة، ومناسب لكل زمان ومكان.
2. الإعجاز التأثيري هو وجه مستقل قائم بذاته من خلال بيانه للقدرة التأثيرية في الدعوة إلى الله على جميع مستويات الناس الثقافية والعقلية والاجتماعية.
3. ما من أحد يستمع إلى القرآن إلا ويتأثر به، وتحدثه نفسه بأنه الحق من عند الله، وأن ما جاء به من أحكام وشرائع هي الحق يجب أن تطبق على صعيد الفرد والمجتمع بأسره.
4. إضافة دراسات للمكتبة الإسلامية تبحث في علوم الإعجاز ومدى تأثيرها على الناس.
5. الأجر والثواب المتحصل تصديقاً لحديث الرسول: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله من ثلاث: ومنه علم ينتفع به."
6. خدمة كتاب الله تعالى وإصلاح الناس بالدعوة لدينه تعالى وتبيين الحق وإحقاقه.

منهج البحث:

- استقراء المعلومات المتعلقة بالإعجاز التأثيري للقرآن من الكتب القديمة والحديثة، والتحليل والاستنباط لكل ما هو مفيد من خلال الاستقراء.
- الدقة والأمانة في طرح آراء العلماء حول هذه القضية، مع ترجيح الراجح منها بالأدلة السمعية والعقلية.
- الرجوع إلى المصادر الرئيسة وأمهات الكتب الأساسية، بالإضافة إلى الكتب الحديثة المتعلقة بموضوع البحث.

- بيان الآيات القرآنية في سورها وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة وتوثيق المعلومات المتعلقة بالبحث من مصادرها الأساسية.

الاطار النظري

1- الاعجاز والتاثير بين المفهوم والنشأة

مفهوم الاعجاز

الاعجاز لغةً معنى الاعجاز هو الفوت والسبق، يقال: أعجزني فلان أي فاتني، والتعجيز هو التثبيط، ومنه قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ (سورة سبأ، الآية 5)، بمعنى أي ظانين أنهم يعجزوننا لأنهم ظنوا أنهم لا يبعثون، وأنه أي لا إنس ولا جن.

الاعجاز اصطلاحاً: تناول مفهوم الاعجاز حيث نذكر منها: (الحمصي، 1997 م) إعجاز القرآن كونه أمراً خارقاً للعاد وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ﴾ (سورة الإسراء ، 101)، فالآية والآيات هي التي عبر عنها بالمعجزات فيما بعد، ويغلب الظن أن مصطلح الاعجاز والمعجزة لم يظهر قبل القرن الثاني الهجري، ولقد نشأ في بيئة المتكلمين الذين كانوا يدافعون عن القرآن الكريم، ويردون أباطيل الملاحدة والزنادقة وأهل الزيغ والأهواء (الرافعي، 2001، ص 28).

التاثير لغة وإصطلاحاً

اولاً: التأثير لغة

أما التأثير فهو أثر بالشئ أي أوجد علامة وما دل عليه، فهو مركّب إسنادي من أثر الشيء: أي حصول ما يدلّ على وجوده، يقال: أثر الشيء وأثر، والجميع آثار، يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا﴾ (سورة الحديد، الآية 27)، ويقول (سورة غافر، الآية 22)﴿وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ

﴾ (سورة غافر، الآية 22) ويقول ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ ﴾ (سورة الروم الآية 50). ومن هذا يقال للطريق المستدل من تقدّم آثار ﴿فَهُمۡ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ يُهۡرَعُونَ﴾ (سورة الصافات، الآية 70) ويقول ﴿هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾ (سورة طه الآية 84) وأثرت البعير: جعلت على خفّه أثره، أي علامة تؤثّر في الأرض ليستدلّ بها على أثره، وأثرت العلم: رويته، أثراً، وإثاره، وأثره، وأصله: تتبعت أثره فالتأثير في اللغة مأخوذ من الأثر والنتيجة، والمحصلة الدالّة على وجود مؤثّر سواء أكان المؤثر حيّاً كما في قولهم (أثرت البعير) أم معنويّاً كما في قول الله تعالى: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ ﴾ (سورة الروم الآية 50) والآثار هي اللوازم المعلّقة بالشيء (أبو موسى، 1984)، أو جملة الأمور التي تنتج عن الشيء المسبب لها.

ثانياً: التأثير إصطلاحاً

الاعجاز التأثيري: هو (وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم أشار إليه السابقون، ويتمثّل فيما يتركه القرآن الكريم من أثر ظاهر أو باطن على سامعه أو قارئه ولا يستطيع هذا السامع أو القارئ مقاومته ودفعه ولا يقتصر ذلك على المؤمنين به). أو هو تأثير القرآن الكريم في النفس الإنسانية عندما تسمعه، وتفاعلها معه حتى لو كانت نفساً كافرة.

الدعوة لغة واصطلاحا

أما الدعوة لغة: كلمة تطلق ويراد بها عدة معان.

النداء يقال دعا فلان فلانا إذا ناداه وكما جاء في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ﴾ (سورة الروم الآية 25) والسؤال كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ (سورة البقرة ، الآية 186)، وتعني العبادة كما في قوله تعالى: ﴿وَأَدۡعُواْ

رَبِّ عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾ (سورة مريم ، الآية 148). او هي النسب قال تعالى: ﴿أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾ (سورة مريم، الآية 91). او هي الدعوة إلى قضية يراد إثباتها أو الدفاع عنها سواء كانت حقا أو باطلا فمن الحق قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (سورة يونس، الآية 25)، ومن الباطل حكمة القرآن عن يوسف عليه السلام في قوله: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ (سورة يوسف، الآية 33) او هي المحاولة القولية أو الفعلية والعملية "لا مالة الناس إلى مذهب أوملة (ابن قدامة، 1436 هـ، ص 27)

الدعوة في الاصطلاح: وردت فيها عدة تعاريف نذكر منها:

هي القيام العلماء والمستنيرين في الدين بتعليم الجمهور من العامة بتبصيرهم بأمور دينهم ودنياهم على قدر الطاقة (ذكرى، 1962 م، ص 7). او هي رسالة السماء إلى الأرض، وهي هداية الخالق إلى المخلوق، وهي دين الله القويم وطريقه المستقيم، وقد اختارها الله وجعلها الطريق الموصل إليه سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ (سورة آل عمران الآية 19).ثم اختارها لعباده وفرضها عليهم، ولم يرضى بغيرها بديلا عنها (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسلام دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِين (الصواف، 1995 م، ص 22).

"أو هي هدم الجاهلية بكل أطوارها وأشكالها، سواء كانت جاهلية أفكار، أم جاهلية نظم وشرائع، ومن ثم بناء المجتمع المسلم على قواعد الإسلام في شكله ومحتواه، في مظهره وجوهره، في تطلعه العقدي للكون والإنسان، والحياة" (يكن، 1411 هـ، ص 39) وهذه تعاريف ثلاثة للدعوة وكلها تلتقي حول

مضمون مهم جدا هو أن الدعوة ليست مقصورة على مجرد التعريف والبلاغ، بل قد تتعدى ذلك إلى البناء والتكوين، وحين نقول الدعوة الإسلامية فإنما نقصد بها الرسالة الخاتمة التي نزلت على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وحيا من عند الله في كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بكلامه المعجز المكتوب في المصاحف المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم بالتواتر والتعبد بتلاوته.

1. الاعجاز بين النشأة والتكوين

الاعجاز التأثيري النشأة والتاريخ:

تتمثل نشأة هذا الوجه الاعجازي للقرآن الكريم بنزول القرآن نفسه اتصالاً مباشراً وذلك لما يلي:

المرحلة الأولى: مرحلة النشأة

اولاً: أمر الله تعالى في كتابه الحرص على إسماع المشركين القرآن الكريم ليكون ذلك عوناً على دعوتهم للإسلام. قال ابن حجر (ولا خلاف بين العقلاء أن كتاب الله تعالى معجز لم يقدر أحد على معارضته بعد تحدّيهم بذلك، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة التوبة، الآية 6) فلولا أن سماعه حجّة عليه لم يقف أمره على سماعه ولا يكون حجّة إلّا وهو معجز. (السيوطي، 1951 م، ص 341) والمعجزة لابد لها من أثر في من تعجزه إما تصديقاً أو تكذيباً.

ثانياً: ما ورد في كتب السيرة والتفسير وأغلب الكتب التي تتناول قضية الإعجاز عن لجوء رسول الله صلى الله عليه وسلم لإعجاز القرآن التأثيري كوسيلة أساسية من أسس الدعوة للإسلام وظهور أثر

هذه الوسيلة الفعّال في كل من استعملت معه، إما قبولاً واعتناقاً للإسلام أو نفوراً وإعراضاً عنه أو إقراراً لإعجاز القرآن في حاله.

ثالثاً: إن الإعجاز التأثيري في هذه المرحلة وهي مرحلة النشأة الأولى يتمثّل في الممارسة والسّلوك العمليّ للإعجاز نفسه دون التّأليف فيه أو وضع قواعد أو أصول له، وإنما تدلّ الشواهد الكثيرة على ممارسته في حياة المسلمين. وبعد قرنين من الزمان وفي أوائل القرن الثالث الهجري أشار الجاحظ من خلال حديثه عن الإعجاز البلاغي للقرآن إشارات خاطفة للإعجاز التأثيري (الخالدي، 1993، ص 273) وكذلك فعل الرماني في منتصف القرن الرابع.

المرحلة الثانية: مرحلة التأهيل العلمي للإعجاز التأثيري:

كثير من علماء التفسير والقرآن والبلاغة في القديم والحديث لاحظوا تأثير القرآن الكريم في القلوب وأثره في النفوس فاعتبروا ذلك التأثير من وجوه إعجاز القرآن وعبّروا عنه بعبارات متفاوتة وسأقف مع عدد من العلماء في القديم والحديث ممّن تحدّثوا عن الإعجاز التأثيري.

الخطابي أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي – ت 388هـ.

يقول في كتابه (الفَوَائِد): "إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه وألق سمعك، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله قال الله تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} (السيوطي، 1951 م، ص 350) وذلك أن تمام التأثير لما كان له موقوفاً على مؤثر مقتفى ومحل قابل وشرط لحصول الأثر وانتفاء المانع الذي يمنع منه. تضمّنت الآية بيان ذلك كلّه بأوجز لفظ وأبينه وأدلّة على المراد بقوله: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى} (السيوطي، 1951 م، ص 350) إشارة إلى ما تقدّم من أوّل السورة إلى

هاهنا وهذا هو المؤثّر، وقوله ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (سورة ق، الآية 37). فهذا هو المحل القابل والمراد به القلب الحي الذي يعقل عن الله، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ﴾ (سورة يس، الآية 69) أي حيّ القلب وقوله تعالى: (أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) أي وجه سمعه وأصغى حاسّة سمعه إلى ما يقال له، وهذا شرط التّأثير بالكلام وقوله: (وهو شهيد) أي شاهد القلب حاضراً غير غائب، أي استمع إلى كتاب الله وهو شاهد القلب والفهم، وليس بغافل ولا ساه، وهو إشارة إلى المانع من حصول التّأثير وهو سهو القلب وغيبته عن تعقّل ما يقال له والنظر في تأمّله.

فإذا حصل المؤثّر وهو القرآن، والمحلّ المقابل وهو القلب الحيّ ووجد الشرط وهو الإصغاء وانتفى المانع وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب وانصرافه عنه إلى شيء آخر حصل الأثر وهو الانتفاع بالذكر لوجه الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم إلى ما هو أبعد من ذلك، عندما أخذ يبيّن مزايا هذا الوجه دون سواه فهذا الوجه يمتاز عن سائر وجوه الإعجاز بأنّه:

1. المعجزة القائمة في كل حين.
2. أنها تسع الناس جميعاً عالمهم وجاهلهم.
3. أنها تسع لكل لغاتهم عربيهم وعجميهم.
4. أنها لا تقتصر على الإنس وحدهم بل وتسع الجن أيضاً.

ونرى أن الإعجاز التأثيري يتداخل في عدة أوجه ويرى فيه أن إعجاز القرآن يبرز في وجوه أربعة (الإعجاز النفسي، الإعجاز العلمي، الإعجاز البياني، الإعجاز التأثيري كما استشف ذلك الباحث) ومن خلال حديثه عن الإعجاز النفسي التأثيري نراه يتمثّل في نقاط أربع:

1. مكانة الإعجاز التأثيري.
2. تأثير القرآن في المؤمن والكافر.
3. من وسائل تأثير القرآن: تقديم الدليل المفحم على كل شبهة، تعريف الأمثال.
4. مواضع التأثّر بالقرآن.

تلك هي مكانة الإعجاز التأثيري عند الشيخ فإن كان للقرآن الكريم وجوه إعجاز أخرى غير أنها لا تصل في قدرها وأهميّتها إلى الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم في نفس الإنسان ولكن هل يتأثّر كل إنسان بالقرآن؟ أم يقتصر هذا التأثير على المؤمنين به؟ ويرد أمامنا على هذا التساؤل بما يؤكد مكانة الإعجاز التأثيري بين وجوه الإعجاز، وعدم اقتصاره على نفس إنسانية دون أخرى فيقول: (فما أظن امرءاً سليم الفكر والضمير يتلو القرآن ويستمع إليه ثم يزعم أنه لم يتأثر به، قد تقول: ولم يتأثر به؟ والجواب: أنه ما من هاجس يعرض للنفس الإنسانية من ناحية الحقائق الدينية إلا ويعرض له القرآن بالهداية وسداد التوجيه، ما أكثر ما يعزّ المرء من نفسه، وما أكثر الذين يمضون في سبل الحياة هائمين على وجوههم، ما تمسكهم بالدنيا إلا ضرورات المادة فحسب. إن القرآن الكريم بأسلوبه الفريد يردّ الصواب إلى أولئك جميعاً وكأنه عرف ضائقة كل ذي ضيق وزلّة كل ذي زلل ثم تكفّل بإزاحتها كلّها، كما يعرف الراعي آية تاهت خرافه، فهو يجمعها من هنا وهناك لا يغيب عن بصره ولا عن عطفه واحدة منهم)، وذلك سر التعميم في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ (سورة الكهف، الآية 54). حتى الذين يكذبون بالقرآن ويرفضون الاعتراف بأنه من عند الله أنهم يقضون منه مثلما يقف الماجن أمام أب ثاكل، قد لا ينخلع من مجونه الغالب عليه ولكنّه يؤخذ فترة ما يصدّ من العاطفة الباكية أو مثلما يقف الخلي أما

خطيب يهدر بالصدق ويحدث العميان عن اليقين الذي يريد ولا يرون أنه قد يرجع مستهزئاً، ولكنه يرجع بغير النفس التي جاء بها.

والمنكرون من هذا النوع لا يطمعون في التأثير النفساني للقرآن الكريم، كما أن العميان لا يطعنون في قيمة الأشعة ولذا يقول الله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾ (سورة الزمر، الآية 23).

وبذلك يكون الشيخ رحمه الله قد تناول النقطة الثانية التي يتأكّد من خلالها إعجاز القرآن التأثيري في المؤمنين والكافرين به على حد سواء، وفي النقطة الثالثة يبرز الشيخ في بعض أسرار التأثير القرآني في الإنسان فيقول: (إن القرآن يملك على الإنسان نفسه بالوسيلة الوحيدة التي تقهر تفوّقه في الجدل أي بتقديم الدليل المفحم لكلّ شبهة، وتسليط البرهان القاهر على كل حجّة، فالنكوص عن الإيمان بعد قراءة القرآن يكون كفراً عن تجاهل لا عن جهل ومن تقصير لا عن قصور، والجدل آفّة نفسيّة وعقليّة معاً، فالنشاط الذهنيّ للمجادل يمدّه حراك نفسي خفيّ، فلما يهدأ بسهولة.... ويستكمل الشيخ بيانه عن وسائل القرآن التي تسبّب التأثير في النفس الإنسانية فيقول: (إن طبيعة هذا القرآن لا تلبث أن تعتبر برودة الإلف وطول المعرفة فتتعرى أمام النفوس، وتنسلخ من ثكلتها وتصنّعها، وتنزعج من ذهولها وركودها وتجد نفسها أمام الله – جل شأنه – يحيطها ويناقشها، ويعلمها ويؤدّبها فما تستطيع أمام صوت الحق المستعلن العميق إلّا أن تخشع وتصيخ (الغزولي، 2001 م، ص 19).

ثم يقول وكما قهر القرآن نوازع الجدل في الإنسان وسكن لجاجته، تغلب على مشاعر الملل فيه وأمدّه بنشاط لا ينفذ والجدل غير الملل، هذا تحرّك ذهني قد يجد الأوهام ويحوّلها إلى حقائق وهذا

موات عاطفي قد يجمّد المشاعر فما تكاد تتأثّر بأخطر الحقائق وكثير من الناس يصلون في حياتهم العادية إلى هذه المنزلة من الركود العاطفي فنجد لديهم برود غريباً بإزاء المثيرات العاصفة، لا عن ثبات وجلادة بل عن موت قلوبهم وشلل حواسّهم، والقرآن الكريم في تحدّثه للنفس الإنسانية – حارب هذا الملل وأقصاه عنها إقصاء وعمل على تجديد حياتهم بين الحين والحين، حتى أنهم ليُمْكِنُها أن تستقبل (الرومي، 1424 هـ)، في كل يوم ميلاداً جديداً ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ (سورة طه، الآية 113)

ومن وسائل القرآن التأثيرية: الترغيب والترهيب، حيث يقول الشيخ: (والشعور بالرغبة والرهبة والرقّة تعمرك وأنت تستمع إلى قصص الأولين والآخرين تروى بلسان الحق ثم يتبعها فيض من المواعظ والحكم والعبر تقشعرّ منه الجلود (عبد ربه، 1983 م).

ويتبين لنا أنّه تناول الإعجاز التأثيري من جوانب أربعة ولعلّ أهمّها جميعاً هو بيان ما في القرآن من وسائل تأثيريّة والتي أورد فيها تفصيلاً وتعليلاً لم نره عند كثير من السابقين.

فالإنسان الغاضب إذا سمع القرآن هدأت نفسه وكذلك الغني والفقير إذا سمع القرآن اهتز في داخل نفسه وزادت سعادته والمثقف وغير المتعلم إذا سمع القرآن تفاعل وجدانه مع القرآن وتأثر بأسلوبه، ومصداقاً لما وصفناه من أمر القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة الحشر، الآية 39) حتى إن جلود السامعين للقرآن بتدبر تقشعر وقلوبهم تلين لهذا الذكر الحكيم قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ

وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ (سورة الزمر، الآية 23).

فعندما يتلى القرآن الكريم على مسامع الناس في المساجد أو البيوت ليلاً أو نهاراً ويستمعون إليه فإنه يهز مشاعرهم ويؤثر في عواطفهم باستجاشتها نحو الآيات التي تتلى فلا يتمالك الواحد نفسه فتنهمر الدموع من عينيه حباً للقرآن وتأثراً بأسلوبه المحبب إلى النفوس على اختلاف البيئة والحالة النفسية والاجتماعية.

ومن هنا نستطيع أن ندرك مدى الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم عندما نسأل أحد المستمعين للقرآن: ما الذي أعجبك في القرآن؟ غالباً لا يستطيع أن يعطيك جواباً شافياً وإنما سيجيبك كل واحد بجواب يختلف عن الآخر، وهذا يبرهن على أن الإعجاز قد وصل إلى قلوبهم جميعاً وتغلغل في نفوسهم بما لا يستطيع أن يصفه الواحد منهم الوصف الكامل.

وهذا يبرهن على أن منهم من شعر بالإعجاز البياني وآخر بالغَيبي وآخر بالإعجاز التأثيري، أي أن أسلوب القرآن أثر عليه.

ويجيب الشيخ الشعراوي عن سر ذلك التأثر وهو الذي ترتاح إليه النفس، أن الله سبحانه يخاطب في النفس البشرية ملكات هو خالقها، وأن هذه الملكات تتأثر بكلام الله سبحانه وتهتز له دون فارق من فوارق الدنيا (الشعراوي، 1988، ص 37).

وكان أول الناس تأثراً بهذا القرآن هو رسول الله ﷺ ومن ثم الصحابة رضوان الله عليهم ثم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون رجالاً ونساءً حتى أن الكافرين تأثروا بهذا القرآن فقالوا لا

تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فمنهم من تأثر بالقرآن فاستجاب ومنهم من أعرض وتولى نتيجة لعيشه في الجاهلية مدة طويلة فأخذته الحياة الدنيا بزخرفها ولهوها.

تأثر الرسول ﷺ الدعوة إلى الله

إن رسول الله ﷺ هو من أكثر الناس تأثراً الدعوة إلى الله، فكان إحساسه بالقرآن إحساساً مميزاً لا يصل إليه إحساس أحدٍ من الخلق، وذلك أن مهبط الوحي كان على رسول الله ﷺ بهذا القرآن وهو ثقيل قال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ (سورة المزمل، الآية 5).

وكان لثقل الوحي وثقل القرآن الأثر البالغ على نفسه ﷺ حتى تكاد تزهق نفسه ويحمر وجهُهُ ويعرق جسدُه، حتى يتفصد العرق من جبينه في الليلة الشاتية ويثقل جسمه، حتى لتكاد الناقة التي يركبها تبرك، وإذا جاءت فخذه على فخذ إنسان تكاد ترضُّها، وربما يسمع له غطيط كغطيط النائم فإذا ما ذهب عنه وجد نفسه واعياً لكل ما سمع من الوحي فيبلغه إلى الناس كما سمعه (أبو شُهبة، 1423 هـ، ص 57)

لقد تأثر رسول الله ﷺ هذا التأثر المميز لأنه المخاطب بالقرآن خطاباً مباشراً في الكثير من السور القرآنية، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (سورة القلم ، الآية 7)، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (سورة الأنبياء، الآية 7)، وقال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ (سورة الأعراف، الآية 199)، ثم أوضح الحق تبارك وتعالى أنه الأسوة الحسنة للمؤمنين جميعاً، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ (سورة الأحزاب، الآية 21) ولِمَ لا يتأثر ﷺ هذا التأثر الخاص؟ وهو يخبر بخبر السماء فيراه وقد تحقق مثل فلق الصبح فقد رأى أنه سيدخل المسجد الحرام ويؤدي عمرة القضاء وفعلاً تحقق

ذلك، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا 27 ﴾ (سورة الفتح الآية 27).. وأطلعه الله تبارك وتعالى على كثير من غيب المستقبل عن طريق الوحي وتحقق ذلك، كالبشرى بانتصار المسلمين على جمع المشركين وكان ذلك في مكة المكرمة والدعوة مستضعفة، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ 44 سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ 45 ﴾ (سورة القمر الأيات 44 و 45).

ومجمل ما يمكن أن نقوله عن تأثر النبي ﷺ بالقرآن يعجز الوصف عنه، وسأقتصر على بعض الأمثلة من هذا التأثير للقرآن على خير البرية عليه الصلاة والسلام مستمداً ذلك من كتب التفسير والسيرة والحديث.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: "اقرأ عليّ" قلت: يا رسول الله، أأقرأ عليك وعليك أنزل ؟! قال: نعم، فقرأت سورة النساء حتى أتيتُ إلى هذه الآية: **(فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا)**قال: "حسبك الآن"، فالتفت فإذا عيناه تذرفان" (العسقلاني، 1380 هـ، 8/98-99).

ومن تأثره ﷺ بالقرآن كان محافظاً على قيام الليل وكان يطيل في قيامه حتى تتورم قدماه من شدة القيام، فقد جاء في الحديث الشريف عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان النبي ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلت له: لِمَ تصنع هذا يا رسول الله وقد غُفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال: أفلا أكون عبداً شكوراً" (العسقلاني، 1380 هـ، 8/448).

ولقد التزم ﷺ القرآن خلقاً وعملاً وسلوكاً في الحياة وكان شغله الشاغل فإذا حزبه أمر كان يقدم قول الله تبارك وتعالى حتى أصبح ﷺ في سائر أعماله الترجمة الحية لتعاليم القرآن فقد جاء عن سعد بن هشام قال: انطلقت إلى عائشة فقلت: يا أم المؤمنين، أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ ؟ قالت: ألست تقرأ القرآن ؟ قلت: بلى، قالت: فإن خلق رسول الله ﷺ كان القرآن" (النيسابوري، 1384 هـ، 513/1)

الاعجاز التأثيري للقرآن على الصحابة الكرام

لقد كان للقرآن الكريم الأثر البالغ على الصحابة الكرام لأنهم عاصروا فترة الوحي، فترة نزول القرآن على قلب الحبيب المصطفى ﷺ، فيشاهدون تغيراً في وجهه ﷺ ويسمعون أصواتاً كصلصلة الجرس أو كدوي النحل ويحسون بثقل في جسمه، فقد جاء عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنزل على رسول الله ﷺ وفخذه على فخذي، فكادت ترضُّ فخذي (العسقلاني، 1380 هـ، 108/8)

وكانوا ينظرون إلى النبي عليه السلام بصعوبة عند نزول الوحي عليه بهذا القرآن، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "كان رسول الله ﷺ إذا أوحي إليه، لم يستطع أحد منا أن يرفع طرفه إليه حتى ينقضي وحيه" (النيسابوري، 1384 هـ، ص1406).

وكيف لا يتأثرون بهذا القرآن وهم يرتقبون في كل ليلة أن يتنزل عليهم من الله وحي يحدثهم بما في نفوسهم، ويعالج ما يستجد لديهم من مشكلات، وكان القرآن يتنزل على حسب الأحداث التي تواجه الأفراد أو الأمة بأسرها فيضع الحلول والعلاج الرباني لما يعتور الأمة من أمور، قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ (سورة المجادلة الآية 1)

نزلت هذه الآية في خولة حينما ظاهرها زوجها فأصبحت لا هي حل له ولا هي مطلقة منه، فجاءت تشتكي هذه الفعلة السيئة إلى رسول الله ﷺ، وجاء عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قولها: تبارك الذي وسع سمعه كل شيءٍ أني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفي علي بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وهي تقول يا رسول الله أبلي شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني اللهم إني أشكو إليك قالت: فما برحت حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات، يعني التي في صدر سورة المجادلة (الواحدي النيسابوري، 1412 هـ، ص 228) وحينما قال أهل الإفك ما قالوه عن أم المؤمنين، وبات الناس في المجتمع الإسلامي بين مصدق ومكذب بهذه الشائعة، ومرضت عائشة حتى التزمت فراشها عندما شعرت بإعراض الرسول ﷺ حيث تقول كنت أنظر إلى شفتي رسول الله ﷺ عندما يدخل عليّ البيت هل تتحرك شفتاه برد السلام، ورسول الله ﷺ يقول لها: إن كنت بريئة فسيبرئك الله وبعد شهر من اندلاع هذه الشائعة نزلت براءة أم المؤمنين من السموات العلا، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة النور، الآية 11).

وحينما حاول يهود إحداث الفتنة بين الأوس والخزرج بعدما أسلموا وتناسوا ما كان بينهم في الجاهلية من ثارات وأحقاد وعقدوا بينهم الأخوة والمودة والتراحم غاظ ذلك يهود فدسوا عليهم شاباً من يهود يذكرهم بما كانوا عليه في الجاهلية، فتحركت فيهم النعرات الجاهلية القديمة حتى حميت نفوسهم وتصايحوا يا للخزرج ويا للأوس حتى بلغ الخبر إلى النبي ﷺ فخرج إليهم مسرعاً وهو يقول: "الله الله يا معشر الأنصار أبدعوى الجاهلية وأنا بين ظهرانيكم دعوها فإنها نتنة" فعلموا أنها نزعة من

الشيطان ومكر من يهود وألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضاً وبسبب تلك الحادثة نزل القرآن معالجاً لهذه الحادثة (الواحدي النيسابوري، 1412 هـ، ص 67)' قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ 100 ﴾ (سورة أل عمران، الآية 100).

وحينما انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى وانقطع الوحي، انقطع اتصال الأرض بالسماء بكى الصحابة رضوان الله عليهم هذا الانقطاع وانتهاء خبر الوحي لأنهم يدركون حلاوته.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما بعد وفاة رسول الله ﷺ: انطلق بنا إلى أمِّ أيمن رضي الله عنها نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها، فلما أتيا إليها بكت، فقالا لها: ما يبكيك ؟ أما تعلمين أن ما عند الله خير لرسول الله ﷺ ؟ قالت: بلى إني لأعلم أن ما عند الله خير لرسول الله ﷺ ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء، فهيجتهما على البكاء، فجعلا يبكيان معها" (مسلم، رقم 2454).

وظل تأثير القرآن على النفس البشرية من تلك اللحظة التي نزل فيها وإلى هذه اللحظة وإلى أن يرث الله سبحانه الأرض ومن عليها.

وسأذكر النماذج من تأثر الصحابة رضوان الله عليهم بهذا القرآن الكريم وهي كالتالي: –

أولاً: لقد كان أبو بكر رضي الله عنه رجلاً أسيفاً – أي رقيق القلب – إذا قرأ القرآن بكى لأنه يشعر بحلاوة وعذوبة ولذة القرآن فلم يتمالك نفسه فيجهش بالبكاء عند قيامه بالقرآن، فعندما همَّ أبو بكر الصديق بالهجرة إلى الحبشة لقيه ابن الدُّغنَّة، فقال: إلى أين يا أبا بكر؟ قال: مهاجرٌ في سبيل الله. قال: والله ما مثلك يخرج من هذه الديار لأنك تعين على نوائب الحق وتصل الرحم وتقري الضيف وترعى حقوق الجار فارجع فأنت في جواري، فرجع أبو بكر في جوار ابن الدُّغنَّة وأخذ يقرأ القرآن،

ويجتمع إليه أبناء الكفار وفيهم الصبيان والنسوة يستمعون إليه مما غاظ أسيادهم، فطلبوا من ابن الدُّغنَّة رد جواره أو منعه من قراءة القرآن خشية أن يؤثر القرآن على غلمانهم ونسائهم، وأصرَّ أبو بكر على قراءة القرآن وقَبِلَ بجوار الله ورد إلى ذلك المشرك جواره (العسقلاني، 1380 هـ، 804/2).

وكان أبو بكر رضي الله عنه معروفاً بكثرة البكاء عند قراءة القرآن نتيجة لتأثره بألفاظ القرآن الكريم ويؤيد ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما اشتد برسول الله ﷺ وجعه قيل له في الصلاة، قال: "مروا أبا بكر فليصل بالناس" فقالت عائشة رضي الله عنها: إن أبا بكر رجل رقيق القلب إذا قرأ القرآن غلبه البكاء، فقال: "مروه فليصل" (النيسابوري، 1384 هـ، 316/1)

تأثر أولياء الله بالقرآن

لقد كان للقرآن الكريم أثر عظيم في النفوس المؤمنة وهيمنة ظاهرة في حياتهم قديماً وحديثاً مما أدى إلى تحويل المفاهيم والسلوك باتجاه الإسلام ودستوره الخالد القرآن الكريم فأخذ الناس يتحولون من حياتهم الضيقة الجاهلية إلى حياة الإسلام الرحبة الواسعة، تحولوا من حبهم للعادات السيئة إلى حب القرآن الكريم فكان شغلهم الشاغل حتى شمل جميع حياتهم عملاً وتطبيقاً، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ 69 ﴾ (سورة العنكبوت، الآية 69)

وهكذا انشغل الناس بالقرآن وأصبح للناس مقاييس يقيسون بها الأمور والأشخاص، وكلما كان الإنسان قريباً من الله ملتزماً الدعوة إلى الله كلما زاد قدره وارتفع شأنه في الدنيا والآخرة، قال تعالى ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ 16 ﴾ (سورة الحديد، الآية 16) وقال

تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَـٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ 13﴾ (سورة الحجرات، الآية 13)

2- الاعجاز وتوظيفه في الدعوة إلى الله تعالى

إن عناية علماء الإسلام ودعاته بآيات الله في الكون وإعجازها الباهر، ومحاولة لفت أنظار المدعوين إليها، والتأثير عليهم بها لسلوك المنهج الحق وقبول دعوة الإسلام هو في حقيقته منهج عظيم من مناهج الدعوة إلى الله التي سلكها القرآن في التعريف بالله والدعوة إلى الإيمان به، وآيات الإعجاز في القرآن الكريم الداعية إلى النظر في آيات الله وتأملها كثيرة متعددة متنوعة مما جعل علماء الدعوة إلى الله يجعلون من مناهج الدعوة إلى الله تعالى: المنهج الحسي أو التجريبي الذي يعرفونه بأنه: النظام الدعوي الذي يرتكز على الحواس ويعتمد على المشاهدات والتجارب. (البيانوني، 1412 هـ، ص 214).

ولعل من أعظم الآيات في ذلك – وكل كلام الله عظيم– قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَـٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ 53 أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ 54﴾ (سورة فصلت، الآية 53)، ولاشك أن هذا المنهج المتمثل بالأمور المشاهدة المحسوسة له أثره في النفوس البشرية، وسرعة تأثيره عليها، كما أنه يشمل الناس جميعا، إذ الكل يدرك هذه المحسوسات، ويشعر بها لا يختلف عن ذلك كبير ولا صغير ولا عالم ولا جاهل (البيانوني، 1412 هـ، ص 218).

ولأجل ذلك أيد الله أنبياءه ورسله بالآيات الباهرات والمعجزات التي ألجمت الخصوم، وأذعن لها طالب الحق والباغي. وعلى الرغم من ذلك كله لابد من أن يؤخذ هذا الأمر بعناية، ويتناول بحرص وتؤدة وذلك لأمور:

أولها: أن كلا طرفي قصد الأمور ذميم، فإغفال هذا المنهج وتجاوزه أمر مذموم، وتجاهل لأمر بالغ الأهمية؛ انتهجه الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام – في دعوتهم لأقوامهم، كما أن المبالغة فيه واعتقاد أنه لم يعد منهج يمكن دعوة الناس به إلى الحق إلا هو؛ وأن بقية المناهج أصبحت في هذا العصر لا تكفي، بل ذهب البعض إلى أنه لم يبق أمام أهل عصرنا من وسيلة مقنعة بالدين الإسلامي الحنيف قدر إقناع الإعجاز العلمي في كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) (عبد الصمد، 1993م، ص 10)، وأنه يجب الاعتماد عليه؛ كل هذا دفع البعض إلى طرح المبالغات في هذا الجانب، من محاولة إخضاع آيات القرآن الكريم للمكتشفات العلمية الحديثة، ولي أعناق الآيات لأجل أن توافق شيئاً منها، مما يثبت بعد فترة وجيزة أن ذلك المكتشف كان مجرد فرض أو نظرية؛ جاءت بعدها نظرية أخرى كشفت عدم دقة سابقتها؛ مما يجعل لبعض الجاهلين مطاعن على دين الإسلام بغض النظر عن خطأ القائل بها، فالمتربصون يكيدون للدين مستغلين جهل أبنائه أو تعجلهم في مثل هذه الأمور.

الأمر الثاني: هو أننا نتفق أن إدراك هذه القضايا – أعني قضايا الإعجاز العلمي – لا يدركها كل الدعاة؛ لتطور المكتشفات وتتابعها، كما أنها تحتاج إلى خبرة واختصاص في الكشف عنها وبيانها للناس، وهذا أمر لا يحسنه جميع الدعاة، لاسيما إذا كانت الدعوة لطبقة العلماء المتخصصين في العلوم التطبيقية، إذ الأمر يحتاج إلى معرفة عميقة مبنية على دراسة متأنية قد تمتد لعدد سنين، لا

يغني عنها مجرد قراءة مقال أو بحث أو كتاب، وهذا الأمر يجعل استخدام مسائل الإعجاز الدقيقة التي تمثلها الكشوفات العلمية الحديثة وموافقتها لما جاء في كتاب الله تعالى أمراً فيه شيء من الصعوبة، ولا يدخل في هذا الإشارة والتنبيه إلى الآيات العامة والمعجزات الظاهرة في هذا الكون كالشمس والقمر والنجوم والبحار وعظمتها مما أشار القرآن الكريم إليه في آياته وسوره؛ فهذا أمر يدركه الجميع وهو متاح محسوس.

وأمر ثالث بالغ الأهمية: وهو أن منهج الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – لم يكن يعتمد بشكل كبير على هذا المنهج – المنهج الحسي –، فكل نبي ممن كان له معجزة – إذ بعضهم لم يكن له معجزة – برز بمعجزة واحدة في الغالب، ولعل لذلك حكماً بالغة عظيمة منها: أن المعرض عنها بعد ظهور الآيات المحسوسات يعرض نفسه لخطر عظيم، إذ هو يثبت على نفسه أنه معاند مصر على باطله، غير قابل للحق رغم ظهوره، ومثل هذا متوعد بالعذاب والنكال، يقول تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ 114﴾ (سورة المائدة، الآية 114) فتأمل تضمن الآيات الوعيد الشديد في إجابة الله لطلب عيسى (عليه السلام) وهو ليس وعيدا معتادا بل أفظع وعيد ما نزل به وحي الله »فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ العَالَمِينَ «، وأي عذاب أشد من طمس البصيرة حيث يرى الحق ظاهراً شاهراً، فلا يحرك فيه ساكناً ولا يؤثر فيه البتة، فكأنه لم ير شيئاً، فالآية الباهرة والمعجزة القاهرة لا تعني لصاحب العقل المطموس والبصيرة الخاملة شيئاً بذكر الأمر الذي يسوقه إلى عذاب الله تعالى وسخطه في الدنيا والآخرة.

الأمر الرابع: أن المتأمل لدعوة الإسلام يجدها تتميز بالسهولة والقرب من القلوب، فهي تعتمد على الفطر السليمة، إذ هي مغروسة أصلاً في فطر البشر وفي الحديث المشهور: (كل مولود يولد على الفطرة)، كما أن الاستفادة من العلوم المادية والاكتشافات العلمية أمر محمود يسير وفق منهج القرآن الكريم بلا شك؛ لكن المحظور هو الإغراق في ذلك وتحويل الدعوة إلى الإسلام من صفتها العامة الروحية إلى صبغة مادية، تعتمد على نتاج العلم المادي، والاختراعات والكشوف العلمية المبنية على المادة مما يفقد هذه الدعوة الإسلامية روحانيتها، وعبقها الإيماني المتميز وينحو بها إلى المادية التي قد لا تكون محمودة بكل حال.

الأمر الخامس: لا شك في أهمية الاستفادة من الكشوفات العلمية، والإعجاز العلمي في دعوة الناس وإرشادهم إلى خالقهم وخالق الكون؛ لكن المتأمل لواقع المهتدين الجدد للإسلام من مختلف أصقاع المعمورة؛ يدرك أن هداية أغلب هؤلاء كانت بسبب ما تضمنته مبادئ الإسلام من موافقة للفطرة والعقل الذي لا يزال يبحث عن إجابة لتساؤلات تعرض له لا يجد أجوبتها المقنعة إلا فيما تضمنته مبادئ الإسلام، وهذا الأمر ظاهر ومعلوم، وإذا كان العلماء المتخصصون في العلوم التطبيقية بشتى تخصصاتها يستفيدون من مثل هذا المنهج فهذا لا يعني بالضرورة عناية غيرهم به، إضافة إلى أن الأعم الأغلب من المدعوين هم من العوام أو المتعلمين الذين لا يصلون إلى درجة أولئك المتخصصين، وقد لا يكون لديهم عناية بمسائل الإعجاز مما قد يضعف تأثرهم بها.

الخاتمة

الحمد لله الذي أعانني على كتابة البحث، وصولاً لخاتمة تليق بالجهد العلمي، وعليه فإن إعجاز القرآن الكريم لا يمكن حصره، ولا يستطيع أحد جمع أركانه كما في الأثر: (لا تشبع منه العلماء ولا

يخلف عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه)، وكيف أثّر القرآن على الكافرين بمجرد السماع، وكان سبباً في دخولهم في هذا الدين ودوره في الدعوة إلى الله تعالى، فما أن استمع بعضهم إلى آيات القرآن تتلى في الصلاة أو من مذياع فشعر بعذوبة ونعمة هذا القرآن فحدثته نفسه بالبحث عن الإسلام والتوجه إلى المسجد لإعلان إسلامه، وفي الختام نسأل الله التوفيق.

النتائج: خرج الباحث بمجموعة من النتائج ذات الصلة بموضوع الدراسة وهي حسب الآتي:

1. تعدد وجوه إعجاز القرآن الكريم وتجدّدها مع مرور الأيام على الدوام
2. إنّ كثيراً من أوجه الإعجاز في القرآن تحتاج إلى مزيد من تفكّر وبحث وجد في استخراجها
3. إعجاز القرآن الكريم فيه مجال خصب للدعوة إلى الله تعالى – وخاصّة في زماننا هذا وما يليه من أزمنة حيث يعجّ العالم كلّه بالعلم والتطوّر في الاكتشافات العلمية الحقّة فلذلك أدعى لأن يعرفوا أن الدين الذي لا يتعارض مع العلم تنزيل من رب العلم والخلق جميعاً فيذعنوا له ويأتوا إليه مسلمين
4. والقرآن الكريم رسالة الله الخالدة التي لن تزول ولن تتغيّر، ومن ثم فهو في حاجة إلى الجهود البشريّة المستثمرة لاستخراج درره ومن ثمّ تبليغه للنّاس جميعاً في كل عصر، وقد اختار الله أمّة الإسلام لتكون حاملة لرسالة القرآن ومبلّغة له
5. وكلّ جهد يبذل في تلاوة القرآن أو حفظه أو تعلّمه أو العمل به تدبّره أو الدعوة إليه عبادة ينال فاعلها من الله الثّواب الجزيل
6. للبحث مع كتاب الله مذاق جميل، لا يطعمه إلّا من اقترب من حياضه، وعاش بين أجزائه وسوره وآياته، ومنّ الله عليه بتوفيقه، وأحاطه بعنايته ورعايته، ولم يحرمه التوفيق فيما يبحث

فيه، والوصول إلى المبتغى الّذي نريده، والبحث في وجوه إعجاز القرآن، وبخاصّة (الإعجاز التأثيري) أمر له صعوبته وخطورته.

التوصيات: وقد أوصت الدراسة بعدة توصيات وهي حسب ما يلي:

1. أوصي المهتمين بكتاب الله الغيورين على دين الإسلام أن يعملوا جاهدين على إظهار جميع وجوه الإعجاز الأخرى المتعلقة بالدعوة إلى الله – التي أشار إليها بعض علمائنا الأفاضل من الأقدمين – بأسلوب واضح وسهل مؤيد بالأدلة النقلية والعقلية، لكي يستطيع كافة الناس التعرف على وجوه الإعجاز المتعددة في القرآن الكريم، وبالتالي يقودهم هذا إلى الإيمان الراسخ بكتاب الله تبارك وتعالى
2. إن هذا البحث المتواضع المسمى "الإعجاز التأثيري في الدعوة إلى الله" توجد له مادة علمية غزيرة بين كتب الأقدمين والمحدثين تجعل منه كتاباً علمياً مفيداً لطلبة العلم وعامة الدارسين حول القرآن الكريم
3. أوصي المهتمين بكتاب الله الغيورين على دين الإسلام أن يعملوا جاهدين على إظهار جميع وجوه الإعجاز الأخرى المتعلقة بالدعوة إلى الله – التي أشار إليها بعض علمائنا الأفاضل من الأقدمين – بأسلوب واضح وسهل مؤيد بالأدلة النقلية والعقلية، لكي يستطيع كافة الناس التعرف على وجوه الإعجاز المتعددة في القرآن الكريم، وبالتالي يقودهم هذا إلى الإيمان الراسخ بكتاب الله تبارك وتعالى.

والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون (يوسف، 21).

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1. أبو شهبة، محمد بن محمد بن سويلم. (1423 هـ). المدخل لدراسة القرآن الكريم. مكتبة السنة.

2. أبو موسى، محمد أحمد. (1984). الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية. مكتبة وهبة.

3. أبو بكر، ذكرى. (1962 م). الدعوة إلى الإسلام. مكتبة دار العروبة.

4. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. (1380 هـ). فتح الباري بشرح البخاري. المكتبة السلفية.

5. ابن قدامة، موفق الدين عبد الله. (1436 هـ). المصباح المنير. مكتبة لبنان.

6. البيانوني، محمد أبو الفتح. (1412 هـ). المدخل إلى علم الدعوة. مؤسسة الرسالة.

7. الخالدي، صلاح. (1993). البيان في إعجاز القرآن. دار عمار.

8. الرافعي، مصطفى صادق. (2001). إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية. دار الكتب الجامعية.

9. الرومي، عبد الرحمن. (1424 هـ). دراسات في علوم القرآن. (لم يتم ذكر دار النشر).

10. السيوطي، جلال الدين. (1951 م). الإتقان في علوم القرآن. مطبعة المشهد الحسني.

11. الشعراوي، محمد متولي. (1988). معجزة القرآن. مكتبة التراث الإسلامي.

12. الصواف، محمد محمود. (1995 م). الدعوة والدعاة. دار الاعتصام.

13. الغزولي، عبد العزيز هاشم. (2001 م). بالقرآن أسلم هؤلاء. دار القلم.

14. الواحدي النيسابوري، علي بن أحمد. (1412 هـ). أسباب نزول القرآن. دار الإصلاح.

15. يكن، فتحي. (1411 هـ). الإسلام فكرة حركة انقلاب. مؤسسة الرسالة.

16. مسلم بن الحجاج النيسابوري. (1384 هـ). صحيح مسلم. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

17. نبيه ذكريا، عبد ربه. (1983 م). كيف نحيا بالقرآن. دار الحرمين.

18. كامل عبد الصمد، محمد. (1993 م). الإعجاز العلمي في الإسلام. دار الكتب الحديثة.